الحديث الثالث

عن أبى عبد الرحمن : عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ . وهو الصادق المصدوق :

«إن أحدكم يُجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة . ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك ، فينفخ فيه الروح . ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه . وأجله . وعمله . وشقى أو سعيد . فوالله الذى لا إله غيره : إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع . فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار ، فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع . فيسبق عليه الكتاب . فيعمل بعمل أهل الجنة . فيدخلها»

(رواه البخارى ومسلم)

* * *

التعريف بالراوى : هو الصحابى الجليل، شيخ القراء، أبو عبد الرحمن : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى نسبة إلى جده : هذيل بن مدركة ابن إلياس بن مضر . وأمه : أم عبد من هذيل أيضًا . وكان أبوه « مسعود » قد حالف : عبد الحارث بن زهرة فى الجاهلية .

كان عبد الله رضى الله عنه من السابقين إلى الإسلام . أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبى الأرقم .

أخرج الطبرانى والبزار عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال عبد الله ابن مسعود : « لقد رأيتنى سادس ستة ما على وجه الأرض مسلم غيرنا » .

وكان لإسلامه قصة رواها العلامة ابن الجوزى فى صفة الصفوة فقال :

عن زر بن حبيش . عن عبد الله بن مسعود قال : كنت غلاما يافعا أرعى

الغنم لعقبة بن أبى معيط. فجاء النبى ﷺ وأبو بكر. وقد نفرا من المشركين. فقالا: يا غلام هل عندك من لبن تسقينا؟ فقلت: إنى مؤتمن ولست ساقيكما. فقال النبى ﷺ. هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل [1]. قلت: نعم فأتيتهما بها. فاعتقلها النبى ﷺ. ومسح الضرع. ودعا. فحفَّل الضرع ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعرة. فاحتلب فيها؛ فشرب أبو بكر؛ ثم شربت، ثم قال للضرع أقلص، فقلص [2]. قال: فأتيته بعد ذلك. فقلت: علمنى من هذا القول. قال: إنك غلام معلم. فأخذت من فيه سبعين سورة لا ينازعنى فيها أحد [3].

ولسائل أن يسأل: كيف استباح النبى ﷺ شرب اللبن؛ وهو ملك لغيره؟ وأملاك الكفار لم تكن يومئذ قد أبيحت؟

وأجاب عن ذلك الإمام السهيلى رضى الله عنه فقال: (إن العرب فى الجاهلية كان فى عرف العادة عندهم. إباحة اللبن. وكانوا يتعهدون بذلك رعاتهم ويشترطون عليهم عند عقد إجارتهم أن لا يمنعوا اللبن من أحد مر بهم، وللحكم بالعرب فى الشريعة أصول تشهد له).

وقال النجم الغيطى رحمه الله تعالى إجابة عن ذلك أيضًا فقال:

(وقد ذكر بعض أئمتنا رضى الله عنه فى خصائص النبى ﷺ. أنه أبيح له ﷺ أخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج إليهما إذا احتاج النبى ﷺ إليهما. وأنه يجب على صاحبهما البذل له ﷺ. قال الله تعالى ﴿ **النَّبِىُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾ [4] ا.هـ.

وهاجر عبد الله رضى الله عنه إلى الحبشة الهجرتين. وشهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وصلى إلى القبلتين.

---

(١) الجذعة من الضأن: ما تمت له سنة. ونزا الفحل: وثب.

(٢) قلص: اجتمع وانضم.

(٣) الحديث صحيح أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/ ٤٦٢.

(٤) حاشية الدنابغى على فتح المبين ص ٩٤.

عن القاسم بن عبد الرحمن قال: كان عبد الله يُلبس رسول الله ﷺ نعليه. ثم يمشي أمامه بالعصا، حتى إذا أتى مجلسه نزع نعليه. فأدخلهما فى ذراعيه وأعطاه العصا، فإذا أراد رسول الله ﷺ أن يقوم: ألبسه نعليه. ثم مشى بالعصا أمامه حتى يدخل الحجرة قبل رسول الله ﷺ.

وعن أبى المليح عهد عبد الله: أنه كان يوقظ رسول الله ﷺ إذا نام، ويستره إذا اغتسل. ويمشى معه فى الأرض وَحْشًا (١).

وعن عبد الله بن شداد بن الهاد. أن عبد الله كان صاحب الوساد والسواك والنعلين (٢). وكان معروفا بين الصحابة رضى الله عنهم بأنه صاحب سر رسول الله ﷺ. ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يكرمه ويدنيه ولا يحجبه. فلذلك كان كثير الولوج عليه.

روى ابن الجوزى بسنده قال: قال أبو موسى الأشعرى:

«لقد رأيت رسول الله ﷺ. وما أرى إلا ابن مسعود من أهله».

وروى أيضًا عن عبد الله بن يزيد. قال: أتينا حذيفة. فقلنا له: حدثنا بأقرب الناس برسول الله ﷺ هديا وسمتا ودَلاً. نأخذ عنه ونسمع منه.

قال: كان أقرب الناس برسول الله، هديا وسمتا ودلا. عبد الله بن مسعود. حتى يتوارى عنا فى بيته. ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله زلفى والسلام.

وكان عبد الله خفيف اللحم قصيرا جدا نحو ذراع شديد الآدمة؛ وكان من أجود الناس ثوابا وأطيب الناس ريحا؛ وكان دقيق الساقين، أخذ يجتنى سواكا من الأراك؛ فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه؛ فقال رسول الله ﷺ: مم تضحكون؟ فقالوا: يا رسول الله من دقة ساقيه. فقال: «والذى نفسى بيده لهما فى الميزان أثقل من أحد» (٣).

---

(١) وحشا: وحده وليس معه غيره. (٢) صفة الصفوة: ١/ ٣٩٧

(٣) أخرجه أحمد والبزار وأبو يعلى وذكره الهيثمى فى فتح المبين. وكذا أخرجه ابن الجوزى والشيراحيتى.

وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة؛ وكان من علماء الصحابة؛ فعن مسروق أنه قال:

انتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ إلى ستة: عمر وعلى وعبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وأبى الدرداء، وزيد بن ثابت، ثم انتهى علم هؤلاء الستة إلى رجلين: على وعبد الله».

وعن زيد بن وهب قال: أقبل عبد الله ذات يوم وعمر جالس، فقال: «كنيف ملئ علما».

وعن مسروق قال: قال عبد الله - يعنى ابن مسعود- :

(والذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، وإلا أنا أعلم فيما نزلت ولو أعلم أن أحدا أعلم بكتاب الله منى تناله المطى لأتيته).

ولاه عمر رضى الله عنه قضاء الكوفة ومالها. وظل بها حتى ولى عثمان رضى الله عنه الخلافة فمكث بالكوفة قليلا من صدر خلافة عثمان؛ ثم عاد إلى المدينة المنورة، وبقى بها حتى مات سنة اثنين وثلاثين عن بضع وستين سنة. وصلى عليه: الزبير بن العوام رضى الله عنه، وكان النبى ﷺ قد آخى بينهما بعد الهجرة إلى المدينة، ودفن ليلا بالبقيع، تنفيذا لوصيته فعاتبه عثمان على ذلك. لأنه لم يعلم أحدا بموته، وقيل إنه مات بالكوفة ودفن بها، ولكن الأول أصح وكان رضى الله عنه من المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ فهو أحد العبادلة الأربعة (عبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن الزبير. رضى الله عنهم)[1].

روى له: ثمانمائة وثمانية وأربعون حديثا. اتفق البخارى ومسلم منها على: أربعة وستين حديثا وانفرد البخارى بأحد وعشرين. ومسلم: بخمسة وثلاثين.

وروى عنه الخلفاء الأربعة. وكثيرون من الصحابة رضى الله عنهم.

---

(١) قال المدابغى فى حاشيته على فتح المبين ص ٨٩.

عبد الله بن عمر أحد العبادلة الأربعة وثانيهم ابن عباس وثالثهم عبد الله بن عمرو بن العاص ورابعهم عبد الله بن الزبير ثم قال: أن الجوهرى أثبت ابن مسعود منهم وحذف ابن عمر وقيل: (أبناء عباس وعمرو وعمر * ثم الزبير هم العبادلة الغرر)

جزاه الله عن رسول الله ﷺ وعن أمته خير الجزاء. وحشره فى زمرة الأصحاب مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

* * *

شرح الحديث: عن أبى عبد الرحمن: حدثنا رسول الله ﷺ. وهو الصادق المصدوق:

استعمل المحدثون كلمات ثلاث عند الرواية. يذكرون الكلمة منهن حسب الحالة. فيقال: حدثنا: لما سمع من الشيخ، وأخبرنا: لما قرئ عليه. وأنبأنا: لما أجازه.

ويرى بعضهم غير ذلك.

وهذا يعنى أن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه سمع وغيره الحديث من رسول الله ﷺ ولم يخبر به.

ورسول الله ﷺ هو الصادق فى جميع ما يقوله حتى قبل النبوة. وهو ما عرف عنه قبل البعثة، فقد كان يوصف بأنه الصادق الأمين. والصدق: هو الخبر المطابق للواقع وكما وصف بالصادق – والصدق أحد صفات الأنبياء – فقد وصف كذلك بالمصدوق. أى المصدوق فيما أوحى إليه لأن الملك يأتيه بالصدق من عند الله عز وجل، أو الذى صدق الله وعده. أو المصدوق فيه وهذا كله كان مجموعا لرسول الله ﷺ.

وقيل إن هذه الجملة حالية، وقيل اعتراضية، وهو الأولى. قال الطيبى: لتعم الأحوال كلها وتؤذن بأن ذلك من دأبه وعاداته، بخلاف الحالية لإيهامها اختصاص ذلك ببعض الأحوال. ا.هـ.

والجمع بين الصادق والمصدوق للتأكيد، إذ يلزم من أحدهما الآخر وعكس ذلك. ويقول بعضهم إن المصدوق أخص. أى أنه صادق فى جميع ما يقوله حتى قبل النبوة كما هو المشهور.

- **(إن أحدكم يُجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة. ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك)**:

قرأ بعضهم إن بالكسر وبه جزم الحورى رحمه الله تعالى. وقرأ آخرون:

بالفتح. وقالوا لا يجوز فى هذا الموضع غيره. وجوز الإمام النووى فى شرح مسلم القراءة بالكسر وبالفتح. ولكنها بالكسر أولى وأشد.

يبين رسول الله ﷺ أطوار خلق بنى آدم، وقد خصهم بالذكر دون باقى الحيوانات لأن ما عداهم من المخلوقات الحيوانية يندرج تحتهم كونهم أشرفها وما يتميزون به من صفات وخصائص تميزهم عما عداهم من الحيوانات، كصفة العقل مثلا. ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ [التين: ٤].

ولم يذكر فى الحديث سوى ثلاثة أطوار من سبعة أطوار ذكرت فى القرآن الكريم. قال الله تعالى:

﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول: خلق ابن آدم من سبع، ثم يتلو هذه الآيات.

وقد اكتفى الرسول ﷺ بذكر هذه الثلاثة لعظم الخلق فيها فى تصور عقولنا، أما بالنسبة لقدرة الله عز وجل فليس أمامها عظيم وأعظم. أو صعب وهين. لأن الله تعالى لا يعجزه شئ لأنه على كل شئ قدير. ﴿ **أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا** ﴾.

ويستثنى من الخلق على هذا النحو مرورا بالأطوار السبعة ثلاثة: آدم عليه السلام، وحواء عليها السلام؛ وعيسى عليه السلام [1]. مما يبين عن قدرة الله تعالى وعظمته عز وجل؛ الذى أوضح لنا أن مشيئته وقدرته وسائر أفعاله سبحانه جل شأنه فوق كل حسابات البشر ولا تخضع لقوانين عقولهم ومناهجهم.

---

(١) روى أنها حملت به تسعة أشهر كسائر النساء. وعن ابن عباس وعكرمة أنها حملت به ثمانية أشهر. وعن ابن عباس ما هو إلا أن حملت به فوضعته. قال بعضهم: حملت به تسع ساعات واستأنسوا لذلك بقوله ﴿ فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ﴾ ذكره ابن كثير فى قصص الأنبياء: ٣٧٤، ٣٧٥. ثم يصحح أن الحمل به كان عاديا كسائر النساء مستدلا بآية المؤمنون. ا.هـ.

إن قضية الخلق والإيجاد تناولت عدة صور تفصح عن عظمة الخالق عز وجل وتخرس ألسنة الملحدين والجاحدين. وهى:

أولاً: الصورة الطبيعية. كخلق الإنسان من أب وأم، وهو ما عليه تبنى حسابات البشر.

ثانيًا: الصورة المعجزة. وقد تمثلت فى عدة حقائق:

١- خلق الإنسان من أم دون أب، كخلق سيدنا عيسى عليه السلام.

٢- خلق الإنسان من أب دون أم، كخلق حواء عليها السلام.

٣- خلق الإنسان من طين بلا أب ولا أم كخلق آدم عليه السلام.

ذكر الشبراخيتى فى الفتوحات الوهبية ما نصه:

وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما؛ أن آدم عليه السلام، خلقه المولى من طين فأقام أربعين سنة. ثم صار حمأ مسنونا. فأقام أربعين سنة ثم صار صلصالا أى طينا يابسا يسمع له صلصلة أى صوت إذا نقر. فأقام أربعين سنة. فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة. ثم نفخ فيه الروح. ا.هـ.

ثم يقول الشبراخيتى رحمه الله تعالى: وحينئذ فتوافق العدد بين مدة خلق آدم وخلق الجنين وذلك بجعل الأيام التى فى خلق الجنين فى مقابلة السنين التى فى خلق آدم. فلكل سنة يوم، وموافقة الأطوار، فالنطفة فى مقابلة الطين والعلقة فى مقابلة الحمأ المسنون والمضغة فى مقابلة الصلصال، فتبارك الله أحسن الخالقين. ا.هـ.

٤- خلق الضدين وجمعهما فى مكان واحد؛ كما جمع بين الماء والنار فِي بعض الأشجار، كشجر العثار الموجود بالقدس مثلا. قال الله تعالى: ﴿ **الَّذى جعل لَكُم مِّن الشَّجَرِ الأخضر نارا فَإذا أنتم مِّنْهُ تُوقدُونَ** ﴾ [يس: ٨٠].

٥- خلق الضدين وتجاورهما دون أن يمتزجا، وفصل بينهما بدون حاجز.

﴿ **مرجَ الْبحرَين يلْتَقيَان * بَينَهُمَا برزخٌ لاَّ يبْغيَان** ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠].

٦ - خلق من الجماد الصخر حيوان، كخلقه ناقة صالح عليه السلام لتكون معجزة لقومه ورغم ذلك ﴿ **فَكذَّبوهُ فَعقَروها فَدمدَمَ عليْهم ربُّهم بذَنبهم فَسوَّاها * ولا يخاف عُقْباها** ﴾.

٧- خلق الجان من مارج من النار.

ألا يدل ذلك كله وغيره مما نعلم وما لا نعلم على قدرة العلى الكبير؟

يأتى الرجل زوجه شهوة فيقع منى الرجل فى الرحم حين إنزعاجه بالقوة الشهوانية الدافقة متفرقا فيجمعه الله تعالى فى محل الولادة من الرحم فى المدة المذكورة.

وقال ابن الأثير فى النهاية: يجوز أن يريد بالجمع، مكث النطفة فى الرحم لتتخمر فيه حتى تتهيأ للتصوير فعلى القول الأول تكون يجمع بمعنى يضم. وعلى قول ابن الأثير تكون بمعنى يحفظ.

قال العلامة ابن حجر الهيثمى فى فتح المبين ما نصه:

(فجمعه فيها مكثه فى الرحم يتخمر حتى يتهيأ للخلق. أو ضم متفرقه. لأن المنى يقع فى الرحم حين انزعاجه بالقوة الشهوانية الدافعة متفرقا. فيجمعه الله تعالى فى محل الولادة من الرحم فى هذه المدة.

ودليله: أنه جاء فى بعض طرق هذا الحديث عن ابن مسعود كما أخرجه ابن أبى حاتم وغيره. تفسير ذلك الجمع، بأن النطفة إذا وقعت فى الرحم فأراد الله تعالى أن يخلق منها بشرا طارت فى بشرة المرأة تحت كل شعرة وظفر ثم تمكث أربعين ليلة؛ ثم تصير دما فى الرحم، فذلك جمعها، وذلك وقت كونها علقة.

وجاء تفسير الجمع بمعنى آخر عند الطبرانى وابن منده بسنده على شرط الترمذى والنسائى:

أنه ﷺ قال: إن الله تعالى إذا أراد خلق عبد؛ فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه فى كل عرق وعضو منها. فإذا كان يوم السابع جمعه الله تعالى ثم أحضره كل عرق له دون آدم فى أى صورة ما شاء ركبك.

ويشهد لهذا المعنى قوله ﷺ لمن قال له ولدت امرأتى غلاما أسود: «لعله نزعه عرق») ا.هـ.

يتم الجمع والحفظ فى بطن المرأة أى فى رحمها. من باب ذكر الكل وإرادة الجزء، لاشتمال الكل على هذا الجزء وغيره.

وقد ذكر ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى : أن داخل الرحم كالسفنج. وجعل فيه قبول للمنى، كطلب الأرض المعطشة للماء، فجعله الله طالبا مشتاقا إليه بالطبع فلذلك يمسكه، ويشتمل عليه ولا يزلقه بل ينضم عليه لئلا يفسده الهواء.

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: إن للرحم أفواها وأبوابا، فإذا دخل المنى الرحم من باب واحد. خلق الله عز وجل جنينا واحدا، وإذا دخل من بابين خلق منه ولدين، وإذا دخل من ثلاثة أبواب؛ خلق الله منه ثلاثة أولاد، فيكون عدد الأجنة بعدد دخول المنى من أفواه الرحم. ا.هـ.

يجمع ماء الرجل فى رحم المرأة أربعين يوما بلياليهن نطفة. ولا يختلط ماء الرجل بماء المرأة بل يكونان متجاورين لا يغير أحدهما على الآخر، وذلك كجمعه فى البحرين الماء العذب والملح لا يغير أحدهما الآخر ولا يختلط به قال تعالى فى سورة الرحمن ﴿ **مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لاَّ يبغيان** ﴾.

فيجتمع ماء الرجل وماء المرأة معا فى رحم المرأة؛ ومنهما معا يخلق الله الجنين.

قال الله عز وجل: ﴿ **فَلْيَنظُرِ الإنسانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ من مَّاءٍ دافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ** ﴾. أى من بين صلب الرجل وهو الظهر وترائب المرأة صدرها.

وبعد تمام أربعين يوما بلياليهن يصير هذا الماء علقة أى دما عليظا؛ وسمى بذلك لعلوقه أى ارتباطه ببعضه، قال الله تعالى ﴿ **خلق الإنسان من علق** ﴾ جمع علقة، لأن الإنسان فى معنى الجمع ثم بعد تمام أربعين يوما بلياليهن علقة يصير هذا الدم، مضغة أى قطعة من اللحم قدر ما يمضغ ويظل هكذا أيضا أربعين يوما بلياليهن، وفيها يصور أعضاء الجنين

وبذلك يكون قد أتم الأطوار الثلاثة، وصار الجنين ابن مائه وعشرين يوما وبعد ذلك تبدأ مرحلة جديدة من مراحل خلق الجنين

- **(ثم يرسل إليه الملك)**: وهو الملك الموكل بالرحم، وجاء فى رواية البخارى رحمه الله تعالى «يبعث الملك» ولمسلم أيضًا «ثم يرسل الله الملك».

ومعلوم أن الملك موكل بالرحم منذ قذف النطفة فيه، فكيف يرسل أو يبعث؟

وقد أجاب القاضى عياض بقوله: (إن المراد أنه يؤمر بذلك). وهو القول الأرجح.

هذا وقد ورد فى الصحيح: «يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر فى الرحم باربعين يوما».

وفى رواية أخرى: «أو خمس وأربعين يوما؛ فيقول: يارب أشقى أم سعيد».

وفى رواية ثالثة: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها، وخلق سمعها وبصرها ولحمها وعظامها. ثم يقول: يارب: أذكر أم أنثى. فيقضى ربك بما شاء.. الحديث».

وفى رواية لمسلم: «إن النطفة تقع فى الرحم أربعين ليلة. ثم يتسور عليها الملك».

وفى رواية أخرى لمسلم: «إن ملكا موكل بالرحم. إذا أراد الله تعالى أن يخلق شيئا بإذن الله لبضع وأربعين ليلة».

وفى رواية للشيخين: «إن الله تعالى قد وكل بالرحم ملكا. فيقول: أى رب. نطفة، أى رب علقة، أى رب. مضغة».

وللجمع بين هذه الروايات، يمكن القول: بأن للملك ملازمة ومراعاة لحال النطفة منذ وضعها بالرحم ويقوم بتنفيذ ما يأمره به الحق سبحانه وتعالى من تصرف بالتصوير المتكرر أو المختلف باختلاف الناس، وهو الأظهر، وما عداه من الأقوال عليه اعتراضات تضعف منه.

- **(فينفخ فيه الروح)** : الروح هى التى يحيا بها الإنسان، وحقيقة النفخ إخراج ريح من النافخ يتصل بالمنفوخ وقد اختلف فى حقيقة الروح على أكثر من ألف قول. وهذا أمر طبيعى، لأن القول الفصل فى أمر الروح هو ما قاله خالق الروح سبحانه وتعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى** ﴾.

واتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر كما حكاه القاضى عياض رحمه الله تعالى وصرح به جماعة.

وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما: أنها تنفخ بعد أربعة أشهر وعشرة أيام، وبه أخذ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، وقد رد هذا القول العلماء وضعفوه لأن فى إسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما، نظر. كما صرح به العلامة ابن حجر الهيثمى رحمه الله تعالى.

ويتعلق بقضية نفخ الروح أمر عظيم وهو: حكم السقط وما يترتب عليه من أحكام أخرى فنقول وبالله تعالى التوفيق ومنه العون:

للعلماء كلام فى قضية السقط، فى مراحل تكوينه الأولى (نطفة - علقة - مضغة) ملخصه [1]:

فأما النطفة: فإنه لا يدار على إلقائها حكم، ما دامت نطفة، فلا تثبت بها: أمية الولد ولا تنقضى بها عدة، لأنه يتعذر تحديد الحمل فى هذه المرحلة.

قال علماء الحنابلة ومن وافقهم من أتباع المذاهب الأخرى:

ولا يحرم التسبب إلى إلقائها، لأنها لم تنعقد بعد، وقد لا تنعقد ولدا. بخلاف العلقة؛ فإنه لا يحور إسقاطها لانعقادها، وهو ما يغلب على الظن صيرورتها ولدا. فقد روى «أن الملك لا يعلم أن النطفة ولد حتى تصير علقة».

وقال جماعة من العلماء. يحور الإسقاط ما لم ينفخ فيه الروح. كالعزل

فهذا القول ضعيف، بل أشد ضعفا، إذ لا جامع بينهما، لأن غاية ما فى

---

(١) فتح المنيس ص ١٠٠ بتصرف يسير

العزل هو التسبب إلى منع الإنعقاد، فكيف يتأتى أن يقاس به ولد انعقد؛ وربما تصور.

وبهذا يتأكد لنا حرمة إسقاط العلقة. وهو ما عليه جمهور العلماء من الفقهاء والمحدثين فإن علماء المالكية يقررون حرمة إسقاط علقة ثبت بها الاستيلاء؛ وثبوت الاستيلاد ملزم لحرمة الإسقاط؛ ولا ينافى ذلك عدم انقضاء العدة.

وأما الشافعية فإنهم يحرمون إسقاط العلقة مع عدم ثبوت الاستيلاد [1]. وعدم انقضاء العدة وأما إن صارت مضغة، وشهد أربع شهود قوابل بتصويرها، أو بأنها أصل آدمى ولم يكن عندهن شك فى ذلك؛ انقضت بها العدة ولكن أمية الولد لا تثبت إلا بإلقاء صورة ظاهرة التخطيط واضحة المعالم.

وذلك لأن مدار العدة متوقف على تحقق براءة الرحم، وبراءة الرحم تتحقق بإلقاء المضغة، وأمية الولد تتحقق بما يسمى ولدا، وما لم يظهر التخطيط به لا يسمى ولدا.

فأما إثبات المالكية، انقضاء العدة وأمية الولد، بوضع العلقة فما فوقها. بعيد. إذ لا قرينة على الحمل حتى ترتفع به العدة المحققة، واحتماله مع عدم القرينة لا أثر له، وأمية الولد لم تثبت إلا بوضع الولد، وهو لا يسمى ولدا إلا إن ظهرت الصورة فيه، ولا يسمى حملا إلا إن ظهر أو قامت عليه قرينة، فقبل ذلك لا يسماه. فلا يدخل فى أولات الأحمال ونحوه.

وقد قيل: إن هذا الحديث يقتضى أن لا يسمى ولدا قبل أربعة أشهر. لأنه سماه قبلها نطفة وعلقة ومضغة. ولا شئ من ذلك بولد؛ لغة وعرفا، فلا تثبت به أمية الولد. ولا يقال إنه مشتق من الولادة: وهى الخروج من الرحم، لأنه يلزم عليه صيرورتها أم ولد بخروج النطفة والقول به بعيد عن دليل الشرع، وإنما صار بعض

---

(١) ومنهم الإمام الغزالى رحمه الله. فقد ذهب إلى تحريم إسقاط النطفة بعدما افرغت فى رحم المرأة. راجع كتابه إحياء علوم الدين جـ٢ ص ٥٢، ٥٣، ٥٤ طبعة الحلبى.

الفقهاء إلى صيرورتها أم ولد بدون ما ذكرناه آنفا، حرصا على عتقها وتشوفا إليه ولو بسبب ضعيف.

وأما ضمانه، فقد قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه - وأقره عمر على ذلك- :

(لا يضمن حتى تمضى عليه الأطوار السبعة المذكورة أول المؤمنون وهى السلالة والنطفة. والعلقة، والمضغة، ثم العظام، ثم كسوتها لحما، ثم إنشاؤها خلقا آخر) ا.هـ.

هذا. وقد أباح العلماء العزل لضرورة شرعية، وكذا ما فى حكم العزل مثل حبوب منع الحمل وخالف فى ذلك بعضهم؛ ذكر الفشنى رحمه الله تعالى فى كتابه «المجالس السنية» ما نصه:

(أفتى ابن يونس وغيره من الشافعية: أنه لا يحل للمرأة أن تستعمل دواء يمنع الحبل؛ ذكره فى العجالة).

وأما الصلاة على السقط؛ فإنه لا يصلى عليه حتى يبلغ أربعة أشهر. وهو ما أفتى به الصحابى الجليل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما. فقد روى أنه قال: «ويؤخذ منه أن السقط لا يصلى عليه حتى يبلغ تلك المدة لأنه قبلها جماد. ومعنى نفخة الروح، أنه سبب لخلق الحياة عنده»

وعليه، لا يجب أن يصلى على السقط ما لم تنفخ فيه الروح أى بعد بلوغه أربعة أشهر وقد أفتى السادة الشافعية بأن لا يصلى على السقط حتى يستهل صارخا، وهو المفتى به، وبعد بلوغ الجنين أربعة أشهر تنفخ فيه الروح، ثم يؤمر الملك بأمور أخرى قدرها الله تعالى. لهذا الولد. ذكرها رسول الله ﷺ فقال:

- **(ويؤمر بأربع كلمات)**: يأمر الله عز وجل الملك بكتب أربع كلمات. وهى كل ما قدر له فى الدنيا وفى الآخرة من خير أو شر فهى القضايا والأمور المقدورة. وسميت كلمات باعتبار الرسم الكتابى والنطق اللفظى.

وفى رواية ابن حبان «بخمس كلمات» بزيادة «الأثر والمضجع» أى القبر.

وورد فى صحيح الروايات «أذكر أو أنثى، شقى أو سعيد، وما عمره، وما أثره، وما مصائبه. فيقول الله تعالى. ويكتب الملك، فإذا مات الجسد دفن من حيث أخذ ذلك التراب»[1].

ولا تنافى بين ما ورد فى حديث ابن مسعود وبين ما ورد فى أحاديث أخرى. لأن الزائد على تلك الأربع. أعلم به ﷺ فى أحاديث أخرى.

وظاهر هذا السياق: أن الأمر والكتابة يكونان بعد بلوغ الجنين الأربعين الثالثة.

جاء فى رواية البخارى «إن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثله، ثم يكون مضغة مثله، ثم يبعث إليه الملك، فيؤمر بأربع كلمات. فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح».

وقد جاء فى روايات أخرى ما يفيد بأن كتابة هذه الأمور تكون عقب الأربعين الأولى ذكر ابن رجب الحنبلى فى كتابه: جامع العلوم والحكم ما نصه:

وقد روى عن جماعة من الصحابة أن الكتابة تكون فى الأربعين الثانية. فخرج اللألكائى بإسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) قال: إذا مكثت النطفة فى رحم المرأة أربعين ليلة جاءها الملك فاختلجها. ثم عرج بها إلى الرحمن عز وجل فيقول: اخلق يا أحسن الخالقين. فيقضى الله فيها ما يشاء من أمره، ثم تدفع إلى الملك عند ذلك، فيقول: يارب أسقط أم تمام؟ فيبين له. فيقول: أناقص الأجل أم تام الأجل؟ فيبين له. فيقول: يارب أواحد أم توأم؟ فيبين له. فيقول: يارب أذكر أم أنثى؟ فيبين له، فيقول: يارب أشقى أم سعيد؟ فيبين له ثم يقول: يارب اقطع له رزقه. فيقطع له رزقه مع أجله، فيهبط بهما جميعا. فوالذى نفسى بيده لا ينال من الدنيا إلا ما قسم له».

---

(١) أخرجه الهيثمى فى فتح المبين: ص ٩٩ وقد روى فى الصحيحين نحوه من حديث أنس.

وخرج ابن أبى حاتم بإسناده عن أبى ذر رضى الله عنه قال:

(إن المنى يمكث فى الرحم أربعين ليلة، فيأتيه ملك النفوس فيعرج به إلى الرحمن عز وجل فيقول: يارب أذكر أم أنثى، فيقضى الله عز وجل ما هو قاض. ثم يقول: يارب أشقى أم سعيد؟ فيكتب ما هو لاق بين يديه، ثم تلا أبو ذر من فاتحة سورة التغابن إلى قوله ﴿ **وصوَّركُم فأحْسن صُوركُمْ وإليْه المصيرُ** ﴾.

فهذا كله يوافق ما فى حديث حذيفة بن أسيد) ا.هـ.

ففى صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد عن النبى ﷺ قال:

«إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا. فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها. ثم قال: يارب ذكر أو أنثى؟ فيقضى ربك ما شاء. ويكتب الملك ثم يقول: يارب أجله؟ فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك. ثم يقول: يارب رزقه. فيقضى ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص».

وهذا يعنى أن الكتابة تكون فى الأربعين الثانية، وبه قال جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ومنهم ابن عمرو رضى الله عنهما وأبو ذر الغفارى رضى الله عنه كما سبق.

وقال جمع آخر من الصحابة: إن ذلك يختلف باختلاف الناس فمنهم من يكتب له ذلك عقب الأربعين الأولى، ومنهم من يكتب له عقب الأربعين الثانية ومنهم من يكتب له عقب الأربعين الثالثة، وقد اختاره جمع من العلماء منهم العلامة ابن حجر الهيثمى وابن رجب الحنبلى، ويقول جمع من العلماء بأن أمر الكتابة يقع مرتين، مرة فى السماء فى اللوح المحفوظ ومرة فى الأرض وهو فى رحم أمه، ويحتمل أن تكون إحداهما فى صحيفة والأخرى على الجبين.

وقد اختلفت ألفاظ روايات هذا الحديث فى ترتيب الكتابة ونفخ الروح. مما يوهم أن هناك تعارضا بين رواية البخارى فى صحيحه (ويبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات، ثم ينفخ فيه الروح). ففى هذه الرواية تصريح بتأخير نفخ الروح فى الجنين عن الكتابة.

وفى رواية ابن مسعود وهى متفق عليها. وفى رواية أخرى خرجها البيهقى فى كتاب القدر (ثم يبعث الملك فينفخ فيه الروح. ثم يؤمر بأربع كلمات) ما يدل على أن النفخ مقدم على الكتابة.

وقد أجيب عن ذلك بأن هذا من تصرف الرواة برواياتهم بالمعنى الذى يفهمونه. وإما أن يكون المراد هو ترتيب الأخبار فقط لا ترتيب ما أخبر به .

وأما ما ذهب إليه ابن حجر الهيثمى رحمه الله تعالى، من أن الأولى تقديم رواية البخارى لأنها أصح وأثبت من رواية البيهقى. وقد تابعه فى هذا الشبراخيتى المالكى أيضاً، فهذا قول قد جانب الصواب لأن رواية البيهقى تتفق مع رواية ابن مسعود التى رواها كل من البخارى ومسلم فى صحيحيهما فهى محل اتفاق بينهما، فإذا غلبت الرواية الثانية على رواية ابن مسعود وما رواه البيهقى كان ذلك منا خطأ لأن الروايتين رواهما البخارى وليس معنا ما يفيد تقديم الأولى على الثانية والعكس. وعلى هذا فليس أمامنا سوى القول السابق من أن هذا إما أن يكون من تصرف الرواة أو أن المراد هو ترتيب الأخبار فقط. والله أعلم.

فهذه الكتابة التى يؤمر بها الملك، غير كتابة المقادير السابقة على خلق السموات والأرض.

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال:

(إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة).

وروى الآجرى بسنده عن محمد بن عبادة بن الصامت رضى الله عنهما قال:

(دخلت على أبى، فقال: يا بنى. إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إن أول شئ خلق الله عز وجل: القلم. فقال جل وعلا: اكتب. قال: وما

أكتب؟ قال سبحانه وتعالى: أكتب القدر. فجرى تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة).

وقد روى هذا الحديث من عدة طرق عن ابن عباس وأبى هريرة وعبادة بن الصامت رضى الله عنهم إن الله سبحانه وتعالى يأمر الملك الموكل بالرحم بكتب أربع كلمات هن:

- (**رزقـــــه**): أى يقدر رزقه. قليلا كان أو كثيرا؛ حلالا أو حراما أو مكروها، ومن أى جهة يحصل عليه منها. وهو ما يتناوله المخلوق لإقامة البدن، وانتفاعه به سواء كان مأكولا أو غيره.، فيتناول العلم ونحوه، لأن الرزق نوعان: ظاهر للأبدان. كالقوت، وباطن للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم، ولو كان هذا الرزق حراما خلافا للمعتزلة الذين يقولون بوجوب الأصلح للعبد على الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿**وَما من دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إلاَّ على اللَّه رزْقُهَا**﴾ [هود: ٦]. وقال سبحانه: ﴿**قُلْ إنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشاءُ مِنْ عِبَادِه وَيَقْدرُ لَهُ وَمَا أنفقتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبا: ٣٩].

ولما اشتد إيذاء المشركين للمؤمنين. أمرهم النبى ﷺ بالهجرة إلى المدينة المنورة فقالوا: كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال. فمن يطعمنا بها ويسقينا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿**وَكأيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾. فكل الناس – المؤمن والكافر – يعرف أن الله تعالى قدر الأرزاق، وهو الرزاق ذو القوة المتين. يقول الله تعالى:

﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

فإذا كان المشركون يقرون بذلك. فأولى بالمؤمنين أن تكون ثقتهم فى الله تعالى بلا حدود وأن يحسنوا التوكل على الله تعالى، لأنهم لن ينالوا من الأرزاق إلا ما قدر لهم، ولا يتواكلون، لأن التواكل خلق ذميم ينهى عنه الإسلام وينفر من التخلق به.

روى الترمذى بسنده عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول:

«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله. لرزقتم كما ترزق الطير. تغدو خماصا وتروح بطانا» وحقيقة التوكل لا تنافى السعى فى الأسباب التى قدر الله تعالى المقدرات بها. وجرت سنته فى خلقه بذلك، فإنه تعالى أمر بتعاطى الأسباب مع أمره بالتوكل. فقال: ﴿ **خُذُوا حِذْرَكُمْ** ﴾ وقال: ﴿ **وأعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الخَيْلِ** ﴾ وقال: ﴿ **فَانْتَشِرُوا فِي الأَرضِ وابْتَغُوا من فَضْلِ اللهِ** ﴾. قاله ابن رجب فى (جامع العلوم والحكم).

– (**وأجـــــله**): طويلا أو قصيرا، مباركا فيه أم غير مبارك فيه. ويطلق الأجل ويراد به أمران: أحدهما: مدة الحياة. وثانيهما: منتهاها. وهو الوقت الذى كتب الله فى الأزل انتهاء الحياة فيه.

ومنه قول الله تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٤].

فالأجل واحد، والمقتول ميت بأجله [١]. أى الوقت المقدر لموته. لا كما زعم بعض المعتزلة من أن الله قد قطع عليه الأجل. لنا – أهل السنة – أن الله تعالى قد حكم بآجال العباد على ما علم من غير تردد بآية ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ [النحل: ٦١] [٢].

---

(١)قال بعضهم:

من لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

(٢) ﴿ **إذا جاء أجلُهُمْ فلا يستأخرُون ساعةً ولا يستقدمُون** ﴾ [يونس: ٤٩].

واحتجت المعتزلة بالأحاديث الواردة فى أن بعض الطاعات تزيد فى العمر وبأنه لو كان ميتا بأجله. لما استحق القاتل ذما ولا عقابا ولادية ولا قصاصا. إذ ليس موت المقتول بخلقه ولا بكسبه.

والجواب عن الأول: أن الله تعالى كان يعلم أنه لو لم يفعل هذه الطاعة لكان عمره أربعين سنة لكنه علم أنه يفعلها فيكون عمره سبعين سنة. فنسبت هذه الزيادة إلى تلك الطاعة بناء على علم الله تعالى أنه لولاها لما كانت تلك الزيادة [1]. وعن الثانى: أن وجوب العقاب والضمان على القاتل تعبدى. لارتكابه المنهى، وكسبه الفعل الذى يخلق الله تعالى عقيبه الموت بطريق جرت به العادة. فإن القتل فعل القاتل كسبا، وإن لم يكن له خلقا، والموت قائم بالميت مخلوق لله تعالى، لا صنع فيه للعبد تخليقا ولا اكتسابا. ومبنى هذا على أن الموت. وجودى بدليل قوله تعالى ﴿ **خَلَقَ الموْت والحياة** ﴾. والأكثرون على أنه عدمى، ومعنى خلق الموت: قدّره.

والأجل واحد لا كما زعم الكعبى [2]: أن للمقتول آجلين. القتل والموت. وأنه لو لم يقتل لعاش إلى أجله الذى هو الموت، قاله سعد الدين التفتازانى فى شرح العقائد النسفية:

فالأجل محدد أزلا. وقد ذكر علماء أهل السنة أجوبة كثيرة عن هذه الأحاديث التى تفيد الزيادة والنقصان فى العمر وأصح هذه الأجوبة كما قال الإمام النووى الشافعى رحمه الله تعالى:

(إن هذه الزيادة مؤولة بالبركة فى عمره والتوفيق للطاعات وصيانة أوقاته من الضياع) وقد تابعه على هذا جمع كثير من المسلمين.

وقال بعضهم: (إن الزيادة بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة فى اللوح المحفوظ، لأن الحق جواز وقوع المحو والإثبات فى اللوح المحفوظ كصحف الملائكة ﴿ **يمحُو**

---

(١) مذهب من يقول: إن الأجل نوعان: مبرم ومعلق.

(٢) فإنه خالف المعتزلة. فقال: المقتول تبطل حياته بأجل القتل.

اللهُ ما يشاءُ ويُثْبتُ وعندهُ أُمُّ الكِتَابِ ﴾ وهذا القول مقبول، وبه يقبل الكثيرون من العلماء.

(وعملـــــه): صالحا أو فاسدا. قليلا أو كثيرا. دينا أو دنيا. والعمل هو مباشرة الأسباب المشروعة وغير المشروعة، لتحصيل النتائج وفق ما قدره الله تعالى للعبد من خير أو شر، وليس للعبد من العمل سوى الاكتساب، وأما الفعل فهو لله عز وجل وتلك هي عقيدة أهل السنة، ونازع في هذا المعتزلة الذين يقولون: إن الإنسان خالق لأفعال نفسه بقوة خلقها الله تعالى فيه. وقد كان الأوائل من المعتزلة يتحاشون عن إطلاق لفظ الخالق على العبد ويكتفون بلفظ الموجد والمخترع ونحو ذلك. ولما كان معنى كل هذه الألفاظ واحد، وهو المخرج من العدم إلى الوجود، تجاسروا فأطلقوا لفظ الخالق على الإنسان والقول الحق هو ما قاله أهل السنة. يقول نجم الدين النسفي في العقائد النسفية:

(والله تعالى خالق لأفعال العباد كلها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان. وهي كلها بإرادته ومشيئته وحكمه وقضائه وتقديره).

ويقول التفتازاني رحمه الله تعالى [1]:

احتج أهل الحق بوجوه: الأول: أن العبد لو كان خالقا لأفعاله لكان عالما بتفاصيلها ضرورة أن إيجاد الشئ بالقدرة والاختيار لا يكون إلا كذلك، واللازم باطل، فإن المشي من موضع إلى موضع قد يشتمل على سكنات متخللة وعلى حركات بعضها أسرع وبعضها أبطأ، ولا شعور للماشي بذلك، وليس هذا ذهولا عن العلم. بل لو سئل عنها لم يعلم وهذا في أظهر أفعاله، وأما إذا تأملت في حركات أعضائه في المشي والأخذ والبطش ونحو ذلك. وما يحتاج إليه من تحريك العضلات وتمديد الأعصاب ونحو ذلك. فالأمر أظهر.

الثاني: النصوص الواردة في ذلك كقوله تعالى ﴿ واللهُ خَلَقكُمْ وما تعْملُونَ ﴾ أي عملكم. على أن «ما» مصدرية. لئلا يحتاج إلى حذف الضمير

---

(١) شرح التفتازاني على العقائد النسفية ٩٦، ٩٧.

أو معمولكم على أن «ما» موصولة، ويشتمل الأفعال، لأنا إذا قلنا: أفعال العباد مخلوقة لله تعالى أو للعبد، لم نرد بالفعل المعنى المصدرى الذى هو الإيجاد والإيقاع، بل الحاصل بالمصدر الذى هو متعلق الإيجاد والإيقاع، أعنى ما نشاهده من الحركات والسكنات مثلا. وللذهول عن هذه النكتة قد يتوهم أن الاستدلال بالآية موقوف على كون «ما» مصدرية. وكقوله تعالى ﴿ **اللهُ خالقُ كُلِّ شئٍ** ﴾ أى ممكن بدلالة العقل. وفعل العبد شئ ممكن، وكقوله تعالى: ﴿ **أفمن يَخْلُقُ كمَن لاَ يَخْلُقُ** ﴾ فى مقام التمدح بالخالقية، وكونها مناطا لاستحقاق العبادة» ا.هـ.

وخلاصة الآراء حول هذه القضية هو ما حكاه العلامة الخيالى [1] بقوله:

(علم أن المؤثر فى فعل العبد، إما قدرة الله فقط، بلا قدرة من العبد أصلا. وهو مذهب الجبرية أو بلا تأثير لقدرته، وهو مذهب الأشعرى [2]. أو قدرة العبد فقط بلا إيجاب ولا اضطرار وهو مذهب المعتزلة. أو بالإيجاب وامتناع التخلف، وهو مذهب الفلاسفة والمروى عن إمام الحرمين أو مجموع القدرتين على أن يؤثرا فى أصل الفعل وهو مذهب الأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني.

أو على أن تؤثر قدرة العبد فى وصفه بأن تجعله موصوفا بمثل كونه طاعة أو معصية وهو مذهب القاضى أبى بكر.

والمقصود ههنا [3] أن للعبد فعلا ينسب إلى قدرته سواء كانت جزء المؤثر كما هو مذهب الأستاذ أو مدارا محضا كما هو مذهب الأشعرى. ويجب أن يعلم أن جميع أفعال الحيوانات على هذا التفصيل من المذاهب. إلا أن بعض الأدلة لا يجرى إلا فى المكلف. فلذلك خصصوا العباد بالذكر).

---

(١) حاشية الخيالى على العقائد النسفية: ١٠٠.

(٢) أبو الحسن الأشعرى إمام مدرسة أهل السنة والجماعة. والمقصود بالفلاسفة. المسلمون منهم كالفارابى وابن سينا والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني.

(٣) المقصود ههنا: أى ما يتعلق بأفعال العبد الإختيارية.

ولما كان للعبد كسب واكتساب فى العمل، منَّ الله سبحانه وتعالى عليه بالجزاء والعقاب فإن كان عمله صالحا أثيب عليه وإن كان عمله غير صالح عوقب عليه. وهذا من فضل الله تعالى وعدله ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً** ﴾.

﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾.

﴿ **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ** ﴾.

- (**وشقى أم سعيد**) : السعادة والشقاوة باعتبار الإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة بالخاتمة.

فالمؤمن السعيد، من مات على الإيمان، وإن كان طول عمره على الكفر والعصيان.

والكافر الشقى، من مات على الكفر - نعوذ بالله تعالى - وإن كان طول عمره على الإيمان والطاعة وليست السعادة والشقاوة فى الحياة الدنيا، فقد يشقى السعيد بأن يرتد بعد الإيمان نعوذ بالله من ذلك. وقد يسعد الشقى بأن يؤمن بعد الكفر، فالمرء بما يختم له، نرجو من الله تعالى حسن الخاتمة وأن يمن علينا بالسعادة عند الموت.

وقد سبق بذلك الكتاب، وقدر لعبده السعادة أو الشقاوة وهو فى بطن أمه، وقبل ذلك فى أم الكتاب أو فى صحيفته.

روى الإمام الآجرى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الشقى: من شقى فى بطن أمه. والسعيد: من سعد فى بطنها».

وروى أيضاً بسنده عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه.

أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة، فيما يبدو للناس. وإنه لمن أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار، فيما يبدو للناس. وإنه لمن أهل الجنة».

وحدث الحسن بن محمد الزعفرانى قال: حدثنا أبو الأشعث: يزيد بن هارون قال: أخبرنا حميد [1]. عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا عليكم أن لا تعجبوا بأحد حتى تنظروا بم يختم له؟ فإن العامل بعمل زمانا من عمره أو برهة من دهره. يعمل عملا صالحا. لو مات عليه دخل الجنة. ثم يتحول فيعمل بعمل سئ. وإن العبد ليعمل زمانا من عمره بعمل شئ. لو مات عليه دخل النار. ثم يتحول فيعمل بعمل صالح. وإذا أراد الله بعبد خيرا استعمله. قالوا: يا رسول الله: كيف يستعمله؟ قال: يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه».

وروى قتادة عن أبى حسان عن ناجية بن كعب عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «خلق الله عز وجل يحيى بن زكريا عليه السلام فى بطن أمه مؤمنا، وخلق فرعون فى بطن أمه كافرا».

وما دام الله سبحانه وتعالى قد قدر السعادة أو الشقاوة للعبد قبل خلقه. فقد منع جماعة من أهل السنة والجماعة. قول المصدق «أنا مؤمن إن شاء الله تعالى» وأجاز ذلك القول آخرون إذا لم يكن على الشك.

يقول الشبراخيتى فى كتابه الفتوحات الوهبية. ما نصه:

واختلف الأشاعرة [2] والماتريدية، فى الشقاوة والسعادة،فقال الأشاعرة: هما أزليتان مقدرتان فى الأزل، لا يتغيران ولا يتبدلان. فالسعادة الموت على الإيمان. لتعلق العلم الأزلى بها كذلك، والشقاوة: الموت على الكفر لتعلق العلم الأزلى بها كذلك.

والسعيد من علم الله فى الأزل: موته على الإيمان، وإن تقدم منه كفر.

---

(١) حميد: هو شيخ الإمام البخارى رحمهما الله تعالى.

(٢) الأشاعرة: أتباع أبى الحسن الأشعرى رحمه الله تعالى. والماتريدية: أتباع أبى منصور الماتريدى رحمه الله تعالى وهما مدرسة أهل السنة والجماعة من المتكلمين من علماء التوحيد والأصول.

والشقى : من علم الله فى الأزل موته على الكفر، وإن تقدم منه إيمان، وعلى هذا. فلا يتصور فى السعيد أن يشقى ولا فى الشقى أن يسعد.

وقال الماتريدية: السعيد هو: المسلم. والشقى هو: الكافر. والسعادة: الإسلام. والشقاوة: الكفر. وعليه فيتصور أن السعيد قد يشقى. بأن يرتد بعد الإيمان. وأن الشقى قد يسعد. بأن يؤمن بعد الكفر وأن السعادة والشقاوة غير أزليتين. بل يتغيران ويتبدلان. ويتفرع عن ذلك مسألة الاستثناء فى الإيمان.

فعند الأشاعرة: يجوز أن يقال: انا مؤمن إن شاء الله تعالى. نظرا للمآل. وهو مجهول الحصول فى المستقبل. ووافقهم الشافعى (رحمه الله تعالى) على ذلك. وعن الماتريدية: لا يجوز ذلك نظرا للحال. ووافقهم إمامنا مالك والإمام أبو حنيفة وأحمد لأن الإيمان يجب فيه الجزم. ولا جزم مع التعليق.

وقال ابن عبدوس من أتباع مالك. بوجوب التعليق. لما فى تركه من الجزم الذى فيه تزكية النفس وقد قال الله تعالى ﴿ فَلاَ تُزَكُّوا أنفُسَكُمْ ﴾.

ثم يقول: فإن قلت: قد ورد الحديث «جفت الأقلام وطويت الصحف» أى مضت المقادير بما سبق به علم الله فى الأزل. وإذا كانت السعادة والشقاوة أزليتين. فما معنى قوله فى الحديث الآخر «والشقى من شقى فى بطن أمه».

فالجواب: أن معناه من علم الملك شقاوته حين السؤال عنه وهو فى بطن أمه. والمراد أن هذا أول زمن اشتهار أمره بالشقاوة والسعادة لملائكة التخليق. وإلا فلله تعالى أن يظهر سعادته وشقاوته لمن شاء من عباده قبل ذلك. ا.هـ.

ومنشأ هذا الخلاف الذى وقع بين الأشاعرة والماتريدية. أن الأشاعرة جوزوا ذلك نظرا للمآل الذى هو مجهول فى المستقبل بالنسبة للعبد المؤمن، لأنه من الأمور المغيبة بالنسبة له، فيجوز له أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى على سبيل، إحالة الأمور إلى مشيئة الله تعالى أو للشك فى العاقبة والمآل لا فى الآن والحال. أو للتبرك بذكر الله تعالى أو التبرى عن تزكية نفسه والإعجاب بحاله.

ولا يجوز له ذلك للشك لأنه كفر لا محالة وقد ذهب إلى ذلك كثير من السلف حتى الصحابة والتابعين، كما قال التفتازانى فى شرحه على العقائد النسفية.

وأما الماتريدية: فإنهم لم يجوزوا ذلك نظرا للحال التى عليها العبد، لا باعتبار المآل والعاقبة لأن المآل والعاقبة فى علم الله تعالى منذ الأزل، وقد يطلع الله عليها بعض خلقه كالملائكة المكلفين بالأرحام، وأعتقد أن هذا المفهوم لا يغيب عن عقول الماتريدية.

فإذا كان هذا التفسير هو حال مقالهم، فهم لم يختلفوا مع الأشاعرة فيما ذهبوا إليه وهو الرأى الأقوى فى هذه القضية الخطيرة. والله أعلم.

ثم يبين لنا رسول الله ﷺ أمر المآل والعاقبة. فيقول:

- **(فو الله الذى لا إله غيره)**: وفى رواية البخارى «فو الله إن أحدكم...». وفى رواية ابن ماجة. «فو الذى نفسى بيده ...»

لقد خلف رسول الله ﷺ من غير استحلاف. ولا كراهة فى ذلك إذا كان لعذر كالتأكيد أو الترهيب أو التعجب أو التعجيب. وذلك جريا على عادة العرب. فإنهم إن تعجبوا من شئ أقسموا عليه، وأى أمر أكثر تأكيدا وأشد عجبا من هذا المحلوف عليه.

- **(إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها)**: إن هذا القول، تفريع على ما مهده رسول الله ﷺ من كتابه السعادة أو الشقاوة عند نفخ الروح، كما سبق فى علم الله تعالى أزلا، لبيان أن الخاتمة إنما هى على وفق تلك الكتابة. ولا عبرة بظواهر الأعمال قبلها بالنسبة لحقيقة الأمر. وإن كانت الأعمال معتبرة من حيث كونها علامة دالة على الإيمان وعدمه.

ففى الصحيحين عن على بن أبى طالب رضى الله عنه. عن النبى ﷺ أنه قال:

«ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار. وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة فقال رجل: يا رسول الله. أفلا نمكث على كتابنا وندع

العلم؟. فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له. أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة. وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة. ثم قرأ ﴿ **فَأَمَّا من أعْطى وأتَّقى وصدَّق بالحُسْنى ..** ﴾ الآيتين.

ففى هذا الحديث بيان أن السعادة والشقاوة قد سبق الكتاب بهما. وأن ذلك مقدر بحسب الأعمال. وأن كلا ميسر لما خلق له من الأعمال التى هى سبب السعادة والشقاوة وهو ما يؤيده قول الحق تبارك وتعالى فى سورة الكهف:

﴿ **إنَّ الَّذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحَات إنَّا لا نُضيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُولَئكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى من تَحْتهمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فيهَا منْ أَسَاوِرَ من ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثيَابًا خُضْرًا منْ سُنْدُسٍ وإسْتَبْرَقٍ مُتَّكئينَ فيهَا عَلَى الأَرَائكِ نعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾. وقوله فى خاتمة السورة:

﴿ **إنَّ الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحَات كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفردَوْسِ نُزُلاً * خَالدينَ فيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حوَلاً * قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مدَادًا لِّكَلمَات رَبِّى لَنَفدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفدَ كَلمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جئْنَا بمثْله مَدَدًا * قُلْ إنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إلَىَّ أَنَّمَا إلَهُكُمْ إلَهٌ وَاحدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لقَاءَ رَبِّه فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالحًا وَلا يُشْرِكْ بعبَادَة رَبِّه أَحَدًا** ﴾. وروى البخارى فى الصحيح عن سهل بن سعد عن النبى ﷺ قال: «إنما الأعمال بالخواتيم».

وفيه أيضًا عن معاوية قال: سمعت النبى ﷺ يقول:

«إنما الأعمال بخواتيمها كالوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله. وإذا خبث أعلاه خبث أسفله».

ثم يذكر رسول الله ﷺ السورة المقابلة فيقول:

- **(وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)**: أى بحكم القدر الجارى عليه فى هذا وما قبله، المستند إلى خلق الدواعى والصوارف فى قلبه إلى

ما يصدر عنه من أفعال الخير، فمن سبقت له السعادة. صرف الله تعالى قلبه إلى خير يختم له به. ومن سبقت له الشقاوة. صرف الله عز وجل قلبه إلى شر يختم له به. فذوا السعادة. ميسر لعمل أهل السعادة، وذو الشقاوة ميسر لعملها «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» ففيه إشارة إلى تصريف كل من أفعاله إلى ما يراد به بحسب القدر الجارى عليه المستند إلى سابق العلم به بحسب خلق تلك الدواعى والصوارف فيه المشار إليه بقوله ﷺ «قلوب الخلق بين إصبعين من أصابع الرحمن. يقلبها كيف يشاء».

فتصرفه سبحانه وتعالى فى خلقه: إما ظاهر بخرق العادات. كالمعجزة؛ أو نصب الأدلة كالأحكام التكليفية، وإما باطن: بتقدير الأسباب نحو قوله تعالى: ﴿**ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد**﴾. أو بخلق الدواعى والصوارف نحو قوله تعالى: ﴿**كذلك زينا لكل أمة عملهم ۪ نقلب أفئدتهم - ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم**﴾. (يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك) أى طاعتك.

ومعنى سببية الأعمال للسعادة والشقاوة، الدال عليها الحديث. أنه تعالى خلق الخلق وركب فيهم طباع الخير والشر، فعلم ما يكون منهم بحسب مقتضى طباعهم المركوزة فيهم، فلو أسعدهم وأشقاهم اعتمادا على سابق علمه وحكمته. لكان فى ذلك مأمونا غير متهم لأنه تعالى عادل فى حكمه. حكيم فى عدله. والحكمة تقتضى اجتناب مظان التهم، ولو من سخفاء العقول، فلو عذب بعضهم بموجب علمه فيهم. لا تهموه، فرفع هذه التهمة بأن كلفهم حتى ظهرت معصيتهم على طباعهم المركوزة فيهم من القوة إلى الفعل. وهذا هو سر قوله: ﴿**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾.

وقوله ﷺ فى أطفال المشركين «الله أعلم بما كانوا عاملين». لكن الأصح أنهم فى الجنة. ا.هـ بتصرف. ابن حجر الهيثمى رحمه الله تعالى.

ومن لطف الله تعالى أن انقلاب الناس من الخير إلى الشر نادر، والكثير عكسه، وهذا من فضل الله تعالى على عباده، لأنه الكريم المنان ذو الفضل والإحسان.

والقول الحق الذى لا مناص منه، أن يكون سلوك المؤمن كما قال أبو المظفر السمعانى:

« وسبيل باب القدر أى المستفاد من الأحاديث والآيات السابقة، التوقيف من الكتاب والسنة، فمن عدل عنهما. بالقياس، أو غفل، ضل وتاه، ولم يصل إلى ما يطمئن إليه قلبه. لأن القدر سر من أسرار الله تعالى، ضربت دونه أستار أختص الله بها وحجبها عن عقول خلقه، حتى الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين. قيل: ولا ينكشف إلا بدخول الجنة » ا.هـ.

وقال الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى فى كتابه « الشريعة » فى باب الرد على القدرية:

« أنا ننصح للسائل. ونعلمه أنه لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر، لأن القدر سر من سر الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر، واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر. فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق، قال النبى ﷺ « ما هلكت أمة قط إلا بالشرك بالله عز وجل وما أشركت أمة حتى يكون بدوّ شركها. التكذيب بالقدر ».

ولولا أن الصحابة رضى الله عنهم لما بلغهم عن قوم ضلال شردوا عن طريق الحق، وكذبوا بالقدر فردوا عليهم قولهم وكفروهم، وكذلك التابعون لهم بإحسان، سبوا من تكلم بالقدر وكذب به ولعنوهم ونهوا عن مجالستهم. وكذلك أئمة المسلمين ينهون عن مجالسة القدرية وعن مناظرتهم ويبينوا للمسلمين قبيح مذاهبهم، فلولا أن هؤلاء رودا على القدرية. لم يسع من بعدهم الكلام على القدر، بل الإيمان بالقدر. خيره وشره. واجب قضاء وقدر، وما قدر يكن. وما لم يقدر لم يكن. فإذا عمل العبد بطاعة الله عز وجل، علم أنها بتوفيق الله له، فيشكره على ذلك وإن عمل بمعصيته ندم على ذلك، وعلم أنها بمقدور جرى عليه، فذم نفسه واستغفر الله عز وجل. هذا مذهب المسلمين. وليس لأحد

على الله عز وجل حجة. بل لله الحجة على خلقه قال الله عز وجل ﴿ ٦ : ١٤٩ **قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِين** ﴾ ا.هـ.

لقد أراد الله لنا وأراد منا. فما أراده منا، وجب علينا فعله لأننا سنسأل عنه. وما أراده لنا. فلن يسألنا عنه، وهذا منه تعالى عدل، ومن أحسن من الله حكما وهو خير الحاكمين.

روى البخارى ومسلم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، قال:

كنت رديف النبى ﷺ على حمار. فقال لى: «يا معاذ: أتدرى ما حق الله على العباد. وما حق العباد على الله؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على العباد، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا. وحق العباد على الله، أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا». قلت: يا رسول الله. أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تبشرهم. فيتكلوا».

وقال الشيخ أحمد بن حجازى الفشنى فى كتابه «المجالس السنية» ما نصه:

المكلفون على أربعة أقسام:

القسم الأول: قوم خلقهم الله تعالى لخدمته ولجنته. وهم الأنبياء والأولياء والمؤمنون والصالحون.

والقسم الثانى: قوم خلقهم الله تعالى لجنته دون خدمته. وهم الذين عاشوا كفارا. ثم ختم لهم بالإيمان أو فرطوا مدة حياتهم وانهمكوا فى العصيان. ثم تاب الله عليهم عند الخاتمة، فماتوا على حسن الخاتمة والتوبة والإحسان. كسحرة فرعون.

والقسم الثالث: قوم خلقهم الله تعالى لا لخدمته ولا جنته، وهم الكفار الذين يموتون على الكفر، حرموا فى الدنيا نعيم الإيمان، وفى الآخرة يعذبون بالعذاب والهوان.

والقسم الرابع: قوم خلقهم الله تعالى لخدمته دون جنته، وهم الذين كانوا عاملين بطاعة الله، ثم مكر بهم. فطردوا عن باب الله، وماتوا على الكفر.

نسأل الله السلامة بمنه وكرمه، واعلموا أن أشد ما يهيج خوف القلوب. خوف السابقة والخاتمة. فإن العبد لا يدرى هل سبقت له فى علم الله السعادة أو الشقاوة. والخاتمة تجرى على ما جرت عليه السابقة. فمن سبقت له فى علم الله السعادة. ختم له بخاتمة الإيمان. ومن سبقت له فى علم الله تعالى الشقاوة. ختم له بخاتمة الكفر والخذلان والعياذ بالله. وأكثر ما يمكر عند الموت بأرباب البدع. وأصحاب الآفات الباطنة. والظلمة والمجاهرين بالمعاصى. فمن كان فى ظاهره الصلاح ومكر به، فلآفات باطنة» ا.هـ.

اللهم ثبتنا بالقول الثابت فى الحياة والآخرة. وارزقنا اليقين. واختم لنا بالسعادة واقبضنا إليك غير مفتونين ولا مبتدعين ولا مفرطين. وامنن علينا بفضلك العميم وعفوك وإحسانك الكبير فإنك واسع الفضل والعطاء.

إن هذا الحديث – بلا شك – عظيم القدر، جليل الفائدة، لأنه يتعلق بمبدأ الخلق ونهايته، وأحكام القدر فى المبدأ والمعاد.

وإنكار القدرية له وفى مقدمتهم عمر بن عبيد، ضلالة، وجهالة، وحماقة. وحديث خرافة، فالحديث متفق عليه وروى بطرق عدة، ويؤيده أحاديث أخرى. والعديد من آيات القرآن الكريم. والقدر ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة سوى القدرية والإيمان به ركن من أركان الإيمان، متمم له. وعدم التصديق به كفر يناقض الإيمان نعوذ بالله تعالى من الشك والشرك والنفاق والرياء.

* * *

فقه الحديث: يستفاد من الحديث الأحكام الشرعية التالية:

١– وجوب الإيمان بصدق الرسول ﷺ فى كل ما بلغه عن ربه تعالى من قرآن أو سنة لأنه لا ينطق عن الهوى، وذلك من تمام الإيمان وكماله وصحته.

٢– خلق الله تعالى الإنسان وغيره فى أطوار عديدة، ولكل طور خصائصه ومميزاته مما يكذب نظرية النشوء والارتقاء التى قال بها «دارون» وأمثاله من الملاحدة.

٣- لقد سبق الرسول ﷺ العلماء فيما أطلقوا عليه «نظرية الوراثة» حيث قال لمن قال له: ولدت امرأتى غلاما أسود. «لعله نزعه عرق».

٤- رحمة الله تعالى بالمخلوقات منذ وضع النطفة بالرحم، وأمره ملكا يتعهدها بالرحم حتى تصبح بشرا سويا ثم تخرج إلى الدنيا ولا تنقطع عنه رحمة الله تعالى لحظة.

٥- تنفخ الروح بعد تمام الأطوار الثلاثة - نطفة. علقة. مضغة - ولكن ما هى الروح ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عن الرُّوح قُل الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى** ﴾.

٦- لا يجوز إسقاط الجنين بمجرد وضع النطفة، ويكون الأمر أشد حرمة بعد انتهاء الطور الأول. بخلاف العزل وتعاطى الدواء لمنع الحمل، فإنهما لا شئ فيهما. وخالف فى ذلك ابن يونس الذى أفتى بحرمة تعاطى المرأة دواء يمنع الحبل.

٧- لا تجب الصلاة على السقط إلا إذا استهل صارخا أى بعد تحقق نفخ الروح فيه.

٨- الإسقاط قبل نفخ الروح، لا يثبت الاستيلاد ولا تنقضى به عدة، خلافا لمن رأى غير ذلك.

٩- لقد سبق فى علم الله الأزلى كل ما هو مقدور للإنسان، وقد أمر الله تعالى بكتبه فى اللوح المحفوظ أو فى صحيفة العبد ثم يكتبه الملك الموكل بالرحم بين عينيه.

١٠- السعادة والشقاوة باعتبار الإيمان والتصديق حال الخاتمة، فمن مات على الإيمان مات سعيدا، ومن مات على الكفر، مات شقيًّا.

١١- يجوز الحلف بالله تعالى عند وجود الضرورة الشرعية لذلك.

١٢- العمل فى الدنيا صالحا كان أو غير صالح، فيه دلالة على ما قدره الله للعبد «اعملو فكل ميسر لما خلق له».

١٣- وجوب التصديق بالقدر خيره وشره. لأنه ركن من أركان الإيمان. وبه تمامه ودلالة صدقه، خلافا للقدرية.

١٤- لا يقبل الله من الأعمال إلا الصالحات منها مع صدق الإيمان ﴿إنما يتقبَّلُ اللهُ من المتَّقينَ﴾.

١٥- التوبة تهدم ما كان قبلها من الذنوب والآثام. ولذا وجب على العبد تجديدها دائما.

١٦- الصحيح أن أطفال المشركين والكافرين. ناجون وسيدخلون الجنة بفضل الله تعالى.

١٧- يجوز للعالم والمتحدث أن يضرب الأمثلة للطلاب ليوضح لهم فهم ما يعرضه عليهم.

* * *